المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 15 -- العدد 02 -- جانفي 2024 ص 140 - 156

تاريخ المدارس الابتدائية والتعليم الفرنسي في الجلفة (1865م-1919م)

History of primary schools and French education in Djelfa (1865-1919)

إسماعيل زيان (ziane_ismail2005@yahoo.fr)	باحث في التراث	أستاذ تعليم متوسط/ الجلفة- الجزائر

DOI :

الإرسال: 2023/12/14 **القبول**: 2024/01/29 **النشر**: 2024/01/13

ملخص:

مازال التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي يكتنفه بعض الغموض خاصة ما كان يحدث في المناطق الداخلية من القرى والمداشر التي كانت وجهة للسلطات الفرنسية من أجل نشر الفرنسية بين الأهالي المسلمين، ومن بين تلك المناطق كانت منطقة الجلفة التي شملها التعليم الفرنسي وذلك من خلال إنشاء بعض المدارس التحضيرية والابتدائية فيها. لهذا تأتي هذه الورقة من أجل وضع دارسة وصفية لواقع التعليم الفرنسي من خلال تتبّع مسار إنشاء المدارس وحركة المعلّمين الفرنسيين والمساعدين المحليّين المتخرّجين من المدرسة العربية/الفرنسية.

كلمات مفتاحية: مدرسة ابتدائية؛ تعليم فرنسي؛ أهالي؛ الجلفة؛ إقليم الجنوب.

Abstract:

The education in Algeria during the French occupation is still shrouded in some mystery, especially what was happening in the interior areas of villages, which were a destination for the French authorities in order to spread French among the Muslim population. Among those areas was Djelfa region, which was included in French education through the establishment of some schools, preparatory and primary. Therefore, this paper aims to develop a descriptive study of the history of French education by tracing the path of establishing schools and the movement of French teachers and local monitors who graduated from the French-Arab school.

Keywords Primary school; French education; Indigenous people; Djelfa; Territory of south.

مقدمة:

مرّ التعليم بالجزائر مع نهاية العهد العثماني وإبان الاحتلال الفرنسي بمراحل متنوّعة غيّرت كثيرا في الأساليب التعليمية التي كانت حرّة من قبل، حيث رأت السلطات الفرنسية أنّ التحكّم في المجتمع الجزائري لا يكون بالقوة فقط، بل في فرض نظام تعليمي بالتدريج تُمَرِّرُ من خلاله بعض السياسات التي تساعد الفرنسيين في بسط سيطرتهم على الأهالي في جميع القطر الجزائري، ولا شكّ أنّ التعليم الذي كان يستهدف أبناء الأهالي كان سيكون له ثمار منها الرضى بالاندماج في الدولة الفرنسية ونشر النصرانية باسم التعليم، وغير ذلك من الأهداف التي سطّرتها الإدارة الفرنسية.

ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأت السلطات الفرنسية بإنشاء عدّة مدارس مستقرّة ومتنقلة من أجل تدريس أبناء الأهالي اللغة الفرنسية، وكانت الجلفة إحدى المناطق المستهدفة لبناء مدارس عربية/فرنسية، حيث تمّ بناء 5 مدارس مستقرة ومدرستين متنقلتين، كلّ ذلك قبل نهاية القرن التاسع عشر، وكانت المدارس تدار من طرف معلمين فرنسيين معيّنين من طرف وزارة التعليم، إضافة إلى بعض المساعدين والممرنين من الأهالي الذين تحصّلوا على شهادات دراسية تخوّلهم من الإشراف على التلاميذ.

ولأجل ما ذكر سابقا، رأيتُ أن أجيب على بعض الإشكاليات التي لها علاقة بتاريخ التعليم الفرنسي بمنطقة الجلفة ومنها: كيف كانت بدايات التعليم الفرنسي في الجلفة؟ وما هي المواد التعليمية التي كان يدرسها تلاميذ المنطقة؟ وما هي المدارس الابتدائية التي أنشئت أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؟ وما هي مخرجات ذلك النظام التعليمي على أهالي وسكان منطقة الجلفة؟

منهجية البحث:

اعتمدتُ في هذا البحث المنهج الوصفي وذلك من خلال تتبّع المسار التاريخي للمدارس الابتدائية التي أنشئت في منطقة الجلفة، وتتبّع المسار التعليمي داخل تلك المدارس وكذا حركة تنقلات المعلمين.

أهداف البحث:

يمكن إجمال أهداف البحث في النقاط التالية:

- تسليط الضوء على الواقع التعليمي في منطقة الجلفة من خلال وضع دراسة شاملة حول المنشآت التعليمية.
- معرفة نتائج المدرسة الفرنسية على تعليم الأهالي سواء السلبية منها أم الإيجابية.
- معرفة مدى تأثّر وتعايش التعليم التقليدي مع التعليم النظامي الذي طرأ على منطقة الجلفة.

1- التعليم في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي:

كان التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي تعليما حرّا، بمعنى أنّه لا تحكمه قوانين ولا تنظيمات، بل كل فئة ارتضت لنفسها منهجية تعليمية معينة، فالبعض لجأ للزوايا التي لها نمط معيّن من التدريس من حفظٍ للقرآن ولبعض المتون، والبعض الآخر لجأ إلى المساجد والمدارس التي كانت تُدَارُ نوعا ما من طرف الإدارة العثمانية خاصة الجانب المالي المتمثّل في الأوقاف.

وبعد احتلال فرنسا للجزائر، بدأت السلطات الفرنسية بوضع سياسة للسيطرة على إدارة شؤون التعليم في الجزائر من خلال التحكّم في الأوقاف أوّلا، ثم التحكّم في علماء ومدرّسي المدارس والمساجد وبعض الزوايا، ثمّ شيئا فشيئا بدأت بإنشاء مدارس فرنسية خاصة فقط بالفرنسيين وذلك من أجل تعليم أبناء المستوطنين.

وعلى مدار خمسين سنة من احتلال فرنسا للجزائر، وضعت الإدارة الفرنسية عدّة أنماط للمدارس داخل القطر الجزائري والتي جوبهت بالرفض من قبل المجتمع الجزائري، فكانت البداية ببناء مدارس تشبه المدارس الموجودة في فرنسا، ثم اتجّهت الإدارة لترميم المدارس التقليدية التي كانت موجودة قبل الاحتلال، وفي الأخير حاولت التقريب بين المدرستين وذلك بوضع مدارس عربية/فرنسية تحترم ضمنها الطابع الديني للأهالي . (Colonna, 1972)

وبعد كلّ تلك المراحل التنظيمية التي مرّت بها السياسة التعليمية الفرنسية والتي قاربت الخمسة إصلاحات (Bisquerra, 2001) ، أثمرت بعد ذلك عدّة مراسيم لتفعيل التعليم عند الأهالي، فكان مرسوم 16 جوان سنة 1881م الذي بموجبه أصبح التعليم مجانيّا (Desvages, 1970) ومرسوم 13 فيفري سنة 1883م الذي أتاح للأهالي فرصة إنشاء بعض المدارس في المدن والقرى الصغيرة، والذي طرأت عليه عدّة تعديلات منها تعديل 9 ديسمبر سنة 1887م الذي طُبّق في الجزائر(Bisquerra, 2001) .

وقد انتهجت الإدارة الفرنسية منهجا خاصا في تعيين المساعدين في مدارس الأهالي، حيث أُسْنِدَ هذا العمل لبعض الأهالي المتعلّمين أو المتخرّجين من المدارس النظامية الفرنسية وذلك من أجل كسب ثقة الأهالي الذين لم يكونوا يستسيغون التواصل من الفرنسيين، كلّ ذلك من أجل زيادة عدد المتمدرسين من أبناء الأهالي (Bisquerra, 2001) .

كلّ تلك المراسيم والقرارات من جانب الإدارة الفرنسية كان هدفها الأساسي ضرورة انتشار اللغة الفرنسية بين الأهالي المسلمين، وذلك من أجل تسهيل التحكّم فيهم، ولهذا كانت تستقطب الأهالي بالمال، حيث كانت ترصد مكافأة مالية قدرها 300 فرنك لكلّ فرد من الأهالي يثبت مستوى معيّنا في الفرنسية وأن يكون عمره بين 18 و25 سنة (رافة، 2018).

وقد رأى البعض أنّ تأسيس هذه المدارس في جلّ مناطق الجزائر ما هو إلّا سياسة للسيطرة على التعليم التقليدي ومؤسساته من أجل إبعاد الجزائريين عن التعليم الديني، وإعطاء صورة مزيفة عن مدى تحضّر الفرنسيين من أجل تبرير احتلالهم للجزائر (رحوي، 2011).

2- التعليم في الجلفة:

1.2 قبل الاحتلال الفرنسي:

كانت منطقة الجلفة قبل الاحتلال الفرنسي داخلة ضمن ما يعرف ببلاد أولاد نائل، وكان غالب أهل المنطقة من البدو الرحل ما عدى بعض البلدات التي كانت مُسْتَقَرًّا لبعض الأهالي كمسعد وزنينة والشارف وغيرها، وقد انتشرت في ربوع تلك البلاد بعض الزوايا المتنقلة بين القبائل الرحّالة (بن-سالم، 2019) لكن مع هذا بدأت نواة بعض الزوايا تتشكل في بعض قُرَاهَا، فقد شَرُفَتْ بلدة مسعد مثلا بإقامة الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي فيها، حيث بنى فيها أوّل زاوية له وتزوّج فيها (Estournel De-Constant, 1887, p 44) ، ثم انتقل قبل الاحتلال الفرنسي بخمس سنوات إلى ليبيا (بن-خلّوف، 2003، ص 584) ومن بعدها إلى الحجاز، ثمّ قدم عليها المقاوم موسى بن حسن الدرقاوي وأنشأ فيها مسجدا وزاوية وكان يتنقل بين مسعد والشارف التي كانت رباطه ضد الفرنسيين (بن-سالم وآخرون، 2017، الصفحات 124-125).

ولم تتأثر الحياة العلمية بمنطقة الجلفة بالسنوات الأولى للاحتلال الفرنسي، حيث ظهرت زوايا مستقرّة منها زاوية الشريف بلحرش باش آغا أولاد نايل والتي كان يديرها الشيخ آدم بن دلماجة، وتطوّرت زوايا منطقة مسعد من خلال قدوم بعض العلماء على شاكلة الشيخ المقرئ محمد بن الطاهر المستغانمي الذي أدار زاوية سي بن عياش بمسعد وتخرّج على يديه عدّة طلبة (زيان، 2023، الصفحات 28-41).

2.2 إبان الاحتلال الفرنسي:

تعدّ مدينة الجلفة من المدن الكولونيالية التي أنشأها المحتل الفرنسي، وسبب ذلك في البداية أنّ الإدارة الحربية الفرنسية رأت إنشاء حصن عسكري أو ما يعرف بـ"البرج" بمنطقة الجلفة بسبب المعارك المتواصلة التي كانت تقوم بها القوات الفرنسية ضدّ المقاومات الشعبية في مناطق الجنوب، وذلك من أجل وضعه كمكان للمراقبة وتأمين القوات الفرنسية بالمؤن والاستراحة، حيث شرع في بنائه في 24 سبتمبر وانتهى إنشاؤه بتاريخ 17 نوفمبر من سنة 1852م، وبهذا التشييد أصبحت تلك الملحقة المشيدّة تابعة لدائرة الأغواط بكل قبائلها (معمر، 2020، ص 155).

بعد ذلك صادق الإمبراطور الفرنسي "نابليون الثالث" على مرسوم يقرّ بموجبه تأسيس مدينة الجلفة الكولونيالية بتاريخ 20 فيفيري 1861م، حيث خصّص لهذه المدينة الحديثة 1775 هكتارا تشيّد داخله مجموعة من المباني منها كنيسة ومدرسة وبلدية وشبكة مياه ومركز للدرك وبيوت مبينة على الطراز الفرنسي (معمر، 2020، ص 157).

أمّا سبب إنشاء المدارس في المناطق الداخلية مثل الجلفة فيتلخصّ في أنّ الإدارة الفرنسية كانت تنفق مبالغ كبيرة على المدارس الثانوية والكليات في الجزائر أو على المدارس الابتدائية العليا، وذلك من أجل تعليم الشباب الفرنسي اللغة العربية، ولم تبذل الدولة أيّ سِنْتٍ من أجل تعليم الأهالي للغة الفرنسية باستثناء أولاد أبناء القياد والباش أغوات، الذين دخلوا فيما بعد ضمن الإدارة الفرنسية (Emile, 1887, p 438) ، وهذا ما جعل الفرنسيين يتوجّهون لتعليم الأهالي اللغة الفرنسية بدل تعليم الفرنسيين اللغة العربية، وفي هذا الصدد قال الصحفي الفرنسي فرانسيسك سارسي (Francisque Sarcey) إنّه لا يوجد في المدية سوى مدرستين "عربية/فرنسية" في الجلفة والأغواط، ولا توجد مدرسة مخصصة للقبائل ولا حتى لتعليم أبناء الأهالي القراءة بل فقط لتعليم التحدّث بلغتنا (La dépêche Algérienne, 09/05/1886) . ثمّ بدأ بإعطاء

بعض الإحصاءات فقال إنّ التقارير اعتبارا من 25 جوان تفيد بأنّ 20 طفلا مسلما من الأهالي يحضرون لمدرسة الجلفة، و19 آخرين و 4 بنات يحضرون لمدرسة الأغواط، أي بمجموع 43 متمدرسا، وبما أنّ عدد الأطفال الإجمالي لمقاطعة المدية هو 43727 طفلا فإنّ نسبة التمدرس هي تقريبا 1 بالألف (La dépêche Algérienne, 09/05/1886) .

3. المدارس النظامية في منطقة الجلفة:

1.3 في مدينة الجلفة:

كانت بداية إنشاء المدارس في الجلفة سنة 1863م بمقر المدينة، حيث تمّ التحضير لإنشاء مدرسة عربية/فرنسية تتكوّن من مدرّس للغة الفرنسية براتب شهري قدره 1500 فرنك، ومساعد عربي براتب قدره 360 فرنك، وقد كانت مصاريف المدرسة من صيانة وغيرها على عاتق مقاطعة المدية (Revue du monde colonial, 1863, p 463) ، وقد استقبلت المدرسة بعد إنشائها بعض التلاميذ قدّر سنة 1864م بـ 15 تلميذا (Leroy-Beaulieu, 1882, p 362) .

وقد جاء في أحد التقارير ذكرٌ لمخطط المدرسة حيث وصفَ قاعة الدروس والفناء، ثم ذكر نوعية الدروس التي كانت ترتكز على تعلّم اللغة الفرنسية كتابة ومحادثة وبعض الدروس التطبيقية في الزراعة(ANOM, GGA 52II 001, p 7) . بعد ذلك بدأت عجلت المدرسة بالتحرك وتواصل استقبال التلاميذ من جميع الأطياف (الأوروبيون، الأهالي، اليهود)، وبدأت السلطات بضبط إدارة المدرسة وذلك بتعيين السيد دوردور فرونسوا كزافييه (Dordor françois-Xavier) مديرا للمدرسة العربية/الفرنسية بالجلفة في أكتوبر من سنة 1866م، براتب شهري قدره 1500 فرنك، وكان ذلك التعيين من الوالي العام للجزائر(Bulletin officiel, 1867, p 619).

كان آنذاك في المدرسة معلّم يدعى (دومونك Demonque) حيث استطاع أن يحظى باحترام كبير للغاية سواء عند السلطة أم عند عائلات التلاميذ، وسبب ذلك -على حسب ما جاء في أحد التقارير- هو اعتناؤه بالمدرسة بشكل فعّال، وتعلّمه للغة العربية كتابة ومحادثة من أجل أن يفهمه الأهالي بشكل أفضل (ANOM, GGA 52II 001, p 39) ، حيث بلغ في سنة 1866م عدد التلاميذ الأوربيين 16، وعدد التلاميذ اليهود 2، وعدد التلاميذ الأهالي 14 (Statistique générale, p 41)، وقد حظيت المدرسة بعدّة زيارات من طرف بعض الإطارات ومن ذلك زيارة القائد العام الناحية

خلال زيارته للجلفة، حيث توجّه يوم 22 ماي من سنة 1868م لزيارة المدرسة وقام بفحص عدد من التلاميذ وأطلعه المعلّم على النتائج المحصل عليها من طرف التلاميذ.

وفي بداية سنة 1881م، استقبلت مدرسة الجلفة 37 تلميذا، منهم 17 تلميذا أوروبيا، و4 تلاميذ يهود، و16 تلميذا من الأهالي (Akhbar, 19/01/1881) ، وفي بداية سنة 1882م استقبلت المدرسة 9 تلاميذ أوروبيين، و 7 تلاميذ يهود، و33 تلميذا من الأهالي (Akhbar, 25/01/1882). وقد كانت الإدارة الفرنسية تموّل هذه المدرسة الكتب الدراسية، فمثلا في سنة 1885م ساهمت الإدارة الفرنسية بـ100 فرنك من أجل شراء الكتب لصالح التلاميذ(Foncin, 1889, p 4) .

لكن مع هذا كانت هناك ضغينة بين المستوطنين والأهالي بمدينة الجلفة، وظهرت تلك الضغينة عندما أرادت الإدارة الفرنسية في الجلفة تحويل المدرسة البلدية إلى مدرسة للأهالي، فكتب بعض المستوطنين رسالة أرسلوها لجريدة (La Vigie algérienne) يتحدّثون فيها عن تلك بالواقعة بقولهم «يشعر سكان ولاية الجلفة بالغضب الشديد عندما يتم تصنيف مدرسة البلدية للبنين على أنها مدرسة للأهالي، وذلك دون إبلاغ إي شخص مسبقا، ولا حتى المجلس البلدي... إنّ هذا القرار تعسّفي، فبدلا أن تمضي الجلفة قدما إلى الأمام تتراجع خطوة كبيرة إلى الوراء...وبما أنّ كلّ شيء سيصبح أهليا، أليس من الجيد أيّضا أن نجعل كنيستنا مسجدا، وأن نجعل مبنى البلدية دارا للجماعة، وأن نجعل مجلس القضاء محكمة شرعية؟ !» (La Vigie algérienne, 12/06/1893) .

ويبدو أنّ الإدارة الفرنسية في أوائل القرن العشرين قد استحدثت مدرسة جديدة في الجلفة، وبهذا أصبح هناك مدرسة خاصة بالبنين ومدرسة خاصة بالبنات، حيث كان مدير المدارس هو المعلم (آرثر شارلون Arthur Charlon)، وقد تناوب على مدرسة البنات عدّة معلمات منهم المعلمة (أوجيني موري Eugénie Maury) (Bulletin administratif, 1917, p 419) والمعلمة (ماتي Mattié) (L'Écho d'Alger, 24/09/1912) ، وبعد ذلك ألحقت الإدارة الفرنسية سنة 1912م في الجلفة بمدرسة البنات الأوروبيات قسما خاصا ببنات الأهالي (Exposé de la situation générale, 1913, p 126) .

2.3 في مسعد:

تعتبر مسعد أكبر بلدة بعد مدينة الجلفة، وقد ساعدت خلفية البلدة العلمية في وجود بعض الزوايا، فحاولت الإدارة الفرنسية عدم التدخّل في النمط التعليمي، إلّا أنّها كانت تراقب ما يحدث في الزوايا، وحاولت إدارة مدرسة للمسلمين هناك، فكانت تعطي راتبا لمعلّم المدرسة هناك ومن بين أولئك المعلمين الشيخ محمد بن الطاهر المستغانمي، ومن بعده الشيخ علي بن خميلة، وقد جاء في أحد التقارير الفرنسية سنة 1868م أنّ المدرسة كانت تدار من طرف (طالب) (ANOM, GGA 52II 001, p 7) وكان عدد التلاميذ وقتها 40 تلميذا، وفي 01 أكتوبر سنة 1886م، وبعد سلسلة القوانين التي وضعتها الإدارة من أجل تعليم الأهالي، أنشئت مدرسة ابتدائية في مسعد (Conseil supérieur du gouvernement, 1887, p xxxxiv) ، وقد ساعد في بنائها محمد بن السنوسي قايد بلدة مسعد حيث أعار سكنه من أجل إنشاء المدرسة، وكانت المدرسة تدار من طرف نائب ضابط الصبايحية (La dépêche Algérienne, 09/05/1886) . وقد تداول على هذه المدرسة عدّة معلّمين منهم المعلّم الإسباني الأصل (لويس ليون لوبيز Llopis Louis-Léon) الذي بسبب أعماله في مسعد تحصل على الميدالية البرونزية في أكتوبر من سنة 1901م (Bulletin de l'académie de médecine, 1901, p 790) ، ثمّ أتى المعلّم (Toublanc)، وقد أوكلت إليه –إضافة إلى التعليم- مهمّة العناية بالأهالي المصابين بمختلف الأمراض لا سيما التلاميذ(JORF, 22/02/1911) ، وكان ذلك بداية من سنة 1905م، بعدها أصيب المعلّم (Toublanc) بمرض التيفوئيد وظلّ يقاومه حتّى وافته المنيّة يوم 11 فيفري من سنة 1910م بالمستشفى العسكري بالجلفة (Bulletin de la société amicale, 1910, p 2) .

وفي سنة 1911م تمّ إضافة قسم ثان للمدرسة (Lutaud, 1913, p 126) ، حيث قدِم المعلم (جوزيف جرونجي -Joséph Granger) مع زوجته (جولي برنار) وأشرفا على إدارة المدرسة، وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، جنّدت فرنسا كلّ إطاراتها ومن بينهم المعلم (جوزيف جرونجي)، فقاتل مع الجيش الفرنسي في معركة "الدردنيل" بتركيا ضد الجيش العثماني وقتل هناك يوم 03 ماي من سنة 1915م (مدوّنة قتلى الحرب العالمية الأولى، موقع نت).

وفي سنة 1919م أتى الزوجان (راباتل Rabatel) وذلك لسدّ الفراغ الذي خلّفه مقتل (جرونجي) في الحرب (L'Écho d'Alger, 05/07/1919). بعد ذلك جاء السيّد والسيّدة (بيرجي) إلى مدينة مسعد سنة 1920م، وأشرفا على المدرسة الابتدائية، حيث كانا ينظّمان النزهات للتلاميذ مع القاضي (سي جلول) ومن بينها نزهة (الفانوس السحري L'Écho d'Alger, 01/01/1927)، وعمّرا في مسعد إلى غاية سنة 1948م.

3.3 في عين المعبد:

كانت بلدة عين المعبد واقعة تحت نفوذ عائلة باش آغا أولاد نايل سي الشريف بلحرش، وكان بعض أفراد عائلته يقيمون هناك، ولهذا كان من الضروري إنشاء مدرسة لأبنائهم ابتداءً ولأبناء القرية أيضا، فتقرّر إنشاء مدرسة بعين المعبد تزامنا مع إنشاء مدرسة مسعد –أي سنة 1886م- حيث أعار قايد عين المعبد أحد منازله كي تكون مدرسة، ثمّ أديرت المدرسة من طرف أحد الأهالي الحاصلين على شهادة دراسية، وتموّن من طرف ملحقة الجلفة (La dépêche Algérienne , 09/05/1886) .

وقد تداول على هذه المدرسة عدّة مدرسين من أهل الجزائر، ثمّ نصّب فيها أحد أهالي الجلفة وهو المعلم محمد بن لكحل، حيث تم تنصيبه موجّها في المدرسة وكان عمره آنذاك 25 سنة، وكانت له قرابة بالشريف بلحرش باش آغا أولاد نايل (Statistique enseignement primaire supérieur, 1890, p 26).

بعد ذلك تنقلّ عدّة معلّمين إلى مدرسة عين المعبد، فدرّس هناك المعلم (بن صغير دحمان)، ثم انتقل سنة 1902م إلى مدرسة العطف بغرداية، وخلفه المعلم (لعمارة بوجمعة بن رمضان) في نفس السنة(La Vigie algérienne, 31/08/1902) ، وتحصّل على رتبة فارس وهو في عين المعبد سنة 1907م (La revue indigène, volume, 1907, p 61) .

4.3 في زنينة والشارف:

كانت بلدتا زنينة والشارف من بين أقدم البلدات في منطقة الجلفة، ولهذا كان لابد للإدارة الفرنسية من بسط سيطرتها التعليمية هناك، ولهذا كانت زنينة والشارف على موعد مع تطبيق أحكام مرسوم 13 فيفري 1883م، حيث وافق الحاكم العام في 25 جوان من سنة 1887م، على مداولة المجلس الإقليمي للتعليم الابتدائي بالجزائر العاصمة على إنشاء مدرستين تحضيريتين إحداهما بالشارف والأخرى بزنينة(Akhbar, 01/08/1887) ،

وفي سنة 1891م وافق الحاكم العام على مشروع تحويل مدرسة الشارف من مدرسة تحضيرية إلى مدرسة ابتدائية للأهالي(La dépêche Algérienne, 11/08/1891) ، وقد أشرف على المدرسة –أي مدرسة الشارف- عدّة معلمين من بينهم المعلّم (بودي Bodey) الذي شارك وقتها في الحرب العالمية الأولى وأصيب بسببها بجروح سنة 1915م (La dépêche Algérienne, 14/06/1915) واشتغل بها إلى غاية سنة 1919م (L'écho d'Alger, 05/07/1919).

أمّ مدرسة زنينة فقد تداول عليها عدّة معلمين منهم المعلّم (جون فينوتي Jean Vinetti) الذي تمّ ترسيمه فيها سنة 1899م(La dépêche Algérienne, 14/08/1899) ، ثمّ ترك العمل بها سنة 1904م، وجاء بعده المعلم (راوول بوني Raoul Bonnet) في نفس السنة (Akhbar, 28/08/1904) ، فعمّر فيها طويلا وأصبح مديرا لها (JORF, 04/08/1929, p 8957) ، ثمّ سمّيت المدرسة فيما بعد باسمه (Schéma-de-Djelfa, p 129).

5.3 مدارس البدو في مضارب أولاد الأعور وأولاد خناثة:

كانت معظم قبائل أولاد نايل رحّالة بين الجنوب والشمال بحثا عن الكلأ، وكانت قبيلة أولاد الأعور تتنقل من مسعد إلى تقرت، وهذا ما جعل الفرنسيين يفكّرون في وضع مدرسة متنقّلة لهذه القبيلة، حيث وضعت الإدارة خيما متنقلة بين النقاط الواقعة بين مسعد وتقرت (Mercier, 1906, p 43) ، وتمّ تنصيب أحد أهالي بلدة مسعد وهو المعلم محمد بن علي كموجّه للمدرسة المتنقلة لقبيلة أولاد لعور، وكان يقيم بالخيام المخصصة لتدريس التلاميذ(Statistique enseignement primaire supérieur, 1890, p 26) ، وقد تراوح عدد التلاميذ المتردّدين عليها حوالي 30 تلميذا (Statistique enseignement primaire supérieur, 1890, p 18) ، وبعدما كانت المدرسة تضم خيمتين الأولى للدراسة والثانية تمثل إقامة للمعلمين، تمّ تثبيتها سنة 1905م، وبلغ عدد تلاميذها 45 تلميذا سنة 1906م(Le tour du monde, 1907, p 346) .

أمّا قبيلة أولاد خناثة فكان لها حظّ هي الأخرى في إنشاء مدرسة للرحّل وبالضبط في منطقة (الدويس)، وكان يتردّد عليها بعض المعلمين من الأهالي، من بينهم الموجّه محمد ظريف سنة 1895م(La dépêche Algérienne, 28/09/1895) .

وبالرجوع إلى نمط تلك المدارس المرتحلة، نجد أنّ الخيم كانت تكلّف الإدارة الفرنسية 600 فرنكا من أجل خيمة واحدة، و20 فرنكا من أجل طاولة قابلة للطي، و 50 فرنكا لـ20 حصيرا للتلاميذ، مع بعض الأدوات المستعملة كالمعاول والأوتاد والحبال وغير ذلك من الأمور التي تحتاجها الخيمة خاصة في فصل الشتاء(Bisquerra, 2001) .

لكن مشروع مدارس البدو في الجلفة لم يدم طويلا، حيث أزيلت هاتان المدرستان، وحُوّلت مدرسة أولاد الأعور سنة 1907م إلى عين الإبل (Exposé de la situation générale, 1908, p 126) هي ومعلّمها السيد محمد بن علي، أمّا مدرسة أولاد خناثة فقد أزيلت نهائيا سنة 1910م(Les Territoire du sud de l'Algérie, 1922, p 360) .

6.3 في عين الإبل:

كانت منطقة عين الإبل ممرّا للقوافل بين الجلفة والأغواط، ولهذا بدأت السلطات بإنشاء بعض المنشآت كاستراحة القوافل على شكل فندق وغيرها من المنشآت، بعد ذلك رأت إنشاء مدرسة للأهالي، وبالفعل تمّ إنشاء مدرسة في عين الإبل سنة 1908م لتعليم الأهالي بتكلفة قدّرت بـ 16340 فرنك، وكانت مساهمة إقليم الجنوب فيها تقدّر بـ13072 فرنك (JONNART, 1909, p 129) .

ومع مجيء المعلم المحلي (سي الطاهر بن محمد) بدأت الأمور تتغيّر في المدرسة حيث تخصّص هذا المعلم في التعليم الزراعي، وقد ساهمت زوجته أيضا في التعليم لكن بالنسبة لنساء الأهالي، حيث قامت بتعليمهن الحياكة والخياطة وإرسال المنتوج إلى شؤون الحرب، وبهذا بدأت الموارد المالية بالزيادة بالنسبة لتلك الأعمال فتوسع النشاط نوعا ما، وفي المقابل كان المعلم الطاهر يشرف على 30 تلميذا، وقد تعلّموا عدّة حرف منها الخياطة، واستطاعوا حياكة بعض السترات الصوفية باستخدام مجموعة من الإبر المصنوعة من أسلاك الهاتف التالفة(Situation générale, 1919, p 109) ، ولم يقف عمل هذا المعلّم هنا بل تعدّى إلى إدخال ثقافة زراعة أشجار الزيتون في منطقة عين الإبل (Les Territoire du sud de l'Algérie, 1922, p 367).

4. النظام التعليمي في مدارس الجلفة:

لم يختلف النظام التعليمي داخل مدارس الجلفة عن باقي المدارس العربية/الفرنسية بالجزائر، حيث انتهج المعلّمون نفس المنهج الدراسي المتّبع، ومن تتبّع تلك المناهج نجد أنّ الفرنسيين حاولوا تمرير المشروع التبشيري لأبناء الأهالي من خلال

تدريس مادة الديانة النصرانية، وتعليم الصلوات وغير ذلك من الأمور التي ليست لها علاقة بالجانب التعليمي.

وكمثال على المنهاج المتبع في التدريس، نجد في أحد التقارير التي تكلمت عن مدرسة مدينة الجلفة سنة 1870م كيفية تقسيم التلاميذ والمواد التي يدرسونها، حيث جاء فيه (ANOM, GGA 52II 001):

القسم الأوّل: القراءة من المخطوطات، الكتابة تحت الإملاء، حلّ المسائل المعتادة في القواعد الأربع، قواعد اللغة، النظام المتري، التاريخ، الجغرافيا، الرسم الخطي البسيط.

القسم الثاني: القراءة في الكتب المطبوعة، الكتابة بخط كبير ومتوسط، دراسة المبادئ الأولى لقواعد اللغة، مبادئ الترقيم، القواعد الأربع، تمارين الذاكرة، التاريخ، التعليم المسيحي.

القسم الثالث: أصول القراءة على السبورات، أصول كتابة ورسم الكلمات البسيطة، قراءة وكتابة الأعداد الصحيحة المكوّنة من 4 أرقام، تمارين الذاكرة، الصلاة، التعليم المسيحي الصغير.

5. أثر الحرب العالمية الأولى على سير التعليم في مدارس الجلفة:.

أدّى اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى حشد الجنود ورصّ الصفوف من طرف الجيش الفرنسي، وتواصل التجنيد الإجباري والطوعي للفرنسيين والأهالي على حدّ سواء، ولم تسلم فئة المعلمين من ذلك الأمر، حيث طلبت الإدارة الفرنسية من بعض المعلمين نزعة المآزر وارتداء لباس الحرب، وأدّى ذلك إلى نقص في التأطير في بعض المدارس، ففي مسعد مثلا كان هناك فصلان للدراسة، فأُغلق فصلٌ بسبب تجنيد أحد المعلمين الفرنسيين(Situation générale, 1919, p 105) ، وهو المعلم (جوزريف جرونجي) الذي قُتل فيما بعد بالدردنيل سنة 1915م، وأُغلقت مدرستا زنينية والشارف مؤقتا، حيث أصيب معلم مدرسة الشارف (بودي) بجروح جرّاء الحرب.

6. أثر المدارس النظامية في تكوين النخبة التعليمية بالجلفة:

مع كلّ ما تحمله الأفكار الفرنسية من طمس للهوية الإسلامية ومحاولة تنصير أبناء المنطقة، والقضاء تدريجيا على اللغة العربية من خلال استعمال الدارجة في الكتب المدرسية، إلّا أنّنا لا نستطيع إنكار ما قدّمته المدرسة العربية/الفرنسية من نخب كان لها الفضل فيما بعد في رفع الجهل عن أبناء البدو في الجلفة وغيرها، أو قيادة الحركة الوطنية

والثورة التحريرية لاحقا، ولعلّ من بين النخب التعليمية التي أخرجتها المدرسة في الجلفة مع نهاية القرن التاسع عشر ثلاثة معلّمين من أهل الجلفة كان لهم دور في تعليم الأهالي بعدّة مناطق في الوطن وهم:

محمد بن علي حساني: وُلِدَ سنة 1877م، ويرجع نسبه إلى عرش أولاد يحيى بن سالم. درس وتعلّم في بلدة مسعد وأخذ عن شيوخها. التحق بمدرسة (بوزريعة) التي تكوّن الموجّهين، ليتخرّج منها برتبة موجّه للتلاميذ. رجع بعد ذلك إلى مسعد، وجمع 33 تلميذا في مدرسة للرّحّل سنة 1892م، وأمر بتشييد خيام بالقرب من المدرسة، من أجل أن يسكن فيها الأهالي بالقرب من المدرسة المتنقلة. اشتغل محمد حساني مدرّسا بعدّة مناطق كتبسة وغرداية، وعين وسارة والشلالة، وغير ذلك من المناطق، ليستقر بعد ذلك –فيما مايبدو- بمنطقة (الخنيق) بعين الإبل، وكان ذلك سنة 1907م (قويسم، 2007، ج 3، ص 241) ، وقد توفي في حدود سنة 1910م.

الطاهر بن محمد الطيب: وُلِدَ بمسعد سنة 1874م، ودرس فيها، ثم انتقل إلى (بوزرّيعة) وأصبح تلميذا بها بين سنتي 1894م و1899م، ثمّ أصبح بعدها موجّها، في أكتوبر من سنة 1901م، واشتغل بعدّة مدن من بينها تبسّة والمسيلة وبوسعادة، ليستقرّ بعدها في عين الإبل بداية من سنة 1913م، حيث تخصّص في التعليم الزراعي، وخلال وباء سنة 1921م انبرى لتقديم الرعاية للمرضى، وبسبب ذلك أصيب بمرض التيفوس وتوفي في 24 ماي سنة 1921م(L.Besserve-Bernollin, 1981, pp 175-176.) .

محمد بلكحل: وُلِدَ في حدود سنة 1865م، وهو يتنمي لعائلة باش آغا أولاد نايل الشريف بلحرش، وكان قد تحصّل على شهادة دراسية زاول من خلالها مهنة التدريس في مدرسة عين المعبد.

خاتمة:

كان للتعليم الفرنسي أثر كبير على منطقة الجلفة، حيث بدأت نواته بالتشكل سنة 1865م، ووصلت حركة بناء المدارس إلى أوجها مع مطلع القرن العشرين مستهدفة بذلك فئة كبيرة من أبناء الأهالي. ولا شكّ أن السياسة التي انتهجتها فرنسا في التعليم كان تقوم على طمس الهوية الإسلامية والعربية للأهالي ونشر الفرنسية والنصرانية بين أفراد المجتمع. وقد خلصت في هذه الدراسة حول التعليم الفرنسي في الجلفة إلى عدّة نتائج أجملها على النحو الآتي:

- التعليم الفرنسي في الجلفة كان في بدايته مقتصرا على أبناء الكولون خاصة، ثم تلاه أبناء الباش آغوات والآغوات الذين كانوا يُحضَّرُونَ لاستلام مهام إدارية فيما بعد.
- بدأت السلطات الفرنسية باستقطاب الأهالي من خلال إدماجهم من المدارس العربية الفرنسية من أجل تمكينهم من تعلّم اللغة الفرنسية وبعض التعاليم النصرانية.
- التعليم الفرنسي جاء لقطع الطريق على التعليم الحر التي تبنّته الزوايا في منطقة الجلفة.
- شرعت الإدارة الفرنسية في السيطرة على أبناء البدو أيضا وذلك بإنشاء مدارس متنقّلة يقودها معلّمون من أبناء المنطقة من أجل زيادة الثقة في أولياء الأبناء، وذلك من أجل زيادة نطاق التحكّم في الجيل القادم البعيد من المدن.

قائمة المراجع:

إسماعيل زيان. (2023). نسخ المصاحف بمنطقة الجلفة خلال القرن التاسع: قراءة في رسالة مخطوطة المتبادلة بين مدرسي زوايا الجلفة. مجلة المعيار ، 27 (05)، 28-41.

آسيا رحوي. (2011). وضعية التعليم غداة الاحتلال الفرنسي. دراسات نفسية وتربوية ، ديسمبر (07)، 58-84.

المسعود بن-سالم. (2019). مظاهر التعليم في بوادي وقصور بلاد أولاد نايل قبل الاحتلال الفرنسي. تأليف منشورات مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1830-1962م) دراسة استبصارية استثمارية (الصفحات 53-77). الأغواط: منشورات مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة.

المسعود بن-سالم وآخرون. (2017). مقاومة الشيخ موسى بن حسن الدرقاوي. الجزائر: منشورات الجلفة أنفو.

الميلود قويسم. (2007). التحقيق المتكامل في نسب قبائل أولاد نائل. الجزائر.

حفيظة معمر. (2020). منطقة الجلفة: دراسة مونوغرافية (1830-1954). الجزائر: جامعة الجزائر 2.

محمد بن-خلّوف. (2003). شجرة النور الزكية. لبنان: دار الكتب العلمية، لبنان.

محمد رافة. (2018). وضعية تعليمية اللغة العربية إبان الاحتلال الفرنسي من خلال كتاب التعليم للأهالي في الجزائر لموريس بولار 1910م. مجلة الشهاب ، 04 (04)، 473-486.

مدوّنة قتلى الحرب العالمية الأولى. http://www.nepaslesoublier.org/feillens/granger5.htm

Akhbar.(1887/08/01) .

Akhbar.(1881/01/19) .

Akhbar.(1882/01/25) .

Akhbar.(1904/08/28) .

ANOM, GGA 52II 001 .France.

Bulletin administratif du ministère de l'éducation publique .(1917) .Paris: imprimerie national.

Bulletin de l'académie de médecine .(1901) .Paris: Masson et Cie ,éditeurs.

Bulletin de la société amicale .(1910) .France.

Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie .(1867) .Algérie : imprimerie typographique et lithographique Bouyer.

Claude Bisquerra .(2001) .Les écoles indigènes en Algérie à la fin du XIXe siècle .Société internationale pour l'histoire du français langue étrangère ou seconde.15-1 ،(7) 1.

Conseil supérieur du gouvernement .(1887) .Imprimerie administrative GOJOSSO.

De-Eugène Emile .(1887) .Les français en Afrique, récits Algériens (1848-1886 .(Paris :Bloud et Barral libraires-éditeurs.

De-Pierre Foncin .(1889) .L'alliance français pour le développement de la langue française à l'étranger .France.

Ernest Mercier .(1906) .Français et indigènes .Constantine: Imprimerie– Libraire D. Braham.

Estournel De-Constant .(1887) .Les congrégations réligieuses chez les Arabes .Paris: Maisonneuve et CII leclerc.

Exposé de la situation générale des Territoire du sud de l'Algérie .(1908) . Alger :imprimerie administratif Victor Heintz.

Exposé de la situation générale des Territoire du sud de l'Algérie .(1913) . Alger :typographie Adolphe Jourdan.

Fanny Colonna .(1972) .Le système d'enseignement de l'Algérie coloniale . Archives Européennes de Sociologie.220-195 ،

Hubert Desvages .(1970) .L'enseignement des Musulmans en Algérie sous le rectorat de Jeanmaire: le rôle de l'école .Le Mouvement social ،(70) .137-109

JORF .(1911/02/22) .France: Journal officiel de la République française.

JORF .(1929/08/04) .Journal officiel de la république française .

L.Besserve-Bernollin : 1962-1830 .(1981) .des enseignants d'Algérie se souviennent-de ce qu'y fut l'enseignement primaire . France: Privat.

L'écho d'Alger.(1919/07/05) .

La dépêche Algérienne .(1886/05/09) .Algérie.

La dépêche Algérienne.(1886/05/09) .

La dépêche Algérienne.(1899/08/14) .

La dépêche Algérienne .(1886/05/09) .Algérie.

La dépêche Algérienne.(1891/08/11) .

La dépêche Algérienne.(1915/06/14) .

La revue indigène, volume.(1907) .

La Vigie algérienne.(1902/08/31) .

La Vigie algérienne.(1893/06/12) .

La Vigie algérienne.(1893/06/12) .

Le tour du monde .(1907) .journal des voyages et des voyageurs.13 ،

L'Écho d'Alger.(1919/07/05) .

L'Écho d'Alger.(1927/01/01) .

L'Écho d'Alger.(1912/09/24) .

Les Territoire du sud de l'Algérie, exposé de leur situation .(1922) .Alger: typographie Adolphe Jourdan.

Les Territoire du sud de l'Algérie, exposé de leur situation .(1922) .Alger: typographie Adolphe Jourdan.

M. C. JONNART .(1909) .Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie .Alger: typographie Adolphe Jourdan.

M. Ch. Lutaud .(1913) .Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie .

Paul Leroy-Beaulieu .(1882) .économistes et publicistes contemporaines de la colonisation chez les peuples modères .Paris: Guillaumin et Cie libraires.

Revue du monde colonial .(1863) .Paris: J. Louvier libraire.

Schéma-de-Djelfa .Schéma Directeur d'aménagement touristique de Djelfa . .2008

Situation générale des Territoire du sud de l'Algérie pendant les années (1914-1915 .(1919) .(Alger: typographie Adolphe Jourdan.

Statistique enseignement primaire supérieur (31 décembre 1890 .(1890) . Paris: Imprimerie national.

Statistique générale de l'Algérie (1867-1872) .(Paris :1873 .(imprimerie national.